

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بدأ الخلق وجعل له أمداً ينتهي إليه ، أحمده حمداً تاماً حسناً كافياً ، وأصلي وأسلم على المبعوث بالرحمة هادياً ، محمد واله الأتقياء الأوصياء وأصحابه النجباء .

وبعد فإنّ البحث في الوقف والابتداء ينفّث على علوم متعدّدة ، ليؤسّس حلقة وصل تلتقي عليها الأنظار المتباينة بالتعاطي والترافد بمناويل متآسرة تارة ومتغايرة أخرى ، ليس في زمن معيّن من تأريخ البحث في علوم اللغة والدين ، بل على مرّ أحقاب البحث وتأريخ المعرفة اللسانية والدينية ، ومازال الوقف والابتداء يمثل مشغلاً لسانياً يتخلل مستويات التحليل المتنوعة صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة وتداولاً .

ومن هنا فإنّ البحث في هذا الموضوع يكتسب أهميته المعرفية ، ويكون مقصدنا العلمي في مرحلة البحث الأكاديمي متجهين نحو مقارنة (الوقف والابتداء) في التراث بما حوى من خبء مكنون ، تمثّل في الصدور عن أسس علمية وصفت الوقف والابتداء وفسّرت ظواهره وقعدت قوانينه ، وضبطته كفاية وإنجازاً بملاحظة الصور والأنماط والعلاقات والآثار ، وربط قواعد الوقف ومستويات الأداء بالدلالة والتداول .

ويتحقّق هذا القصد بتناول أثر من آثار علماء القراءات السبع بل شيخ القراء في عصره ، وهو (كتاب الوقف والابتداء) للقسطلاني صاحب لطائف الإشارات المعروف بسعة أنظاره وانفتاحها على علوم النص القرآني شكلاً

ومضموناً ، ولاسيما ما يمثله القسطلاني من مرحلة علمية وتاريخية اتسمت بتطور المعرفة الإسلامية واتصافها بالنضج والاكتمال ، إذ يمثل هذا الكتاب حلقة من حلقات الدراسات العلمية التي تناولت النص القرآني في مستوى الأداء ، فجمع بين دفتيه علوم اللغة والتشريع الإسلامي ، حين جرد القسطلاني أداوته المعرفية محلاً ومنظراً في مقاربة مواضع الوقف وظواهره لاستكناه مضامينه وآثاره . إن الاختيار المنهجي في هذا العمل الأكاديمي ملتزم بمسار علمي حدده الضبط الوثيقي لإخراج نصوص القسطلاني متسقة منسجمة مع توجهات أهل اللغة والقراءة ، فعمدنا إلى تقصي النص وقراءته قراءة موضوعية تسهم في الحفاظ على هويته المعرفية وخصائصه الذاتية ، وتطلب الدقة في بلوغ مقاصد منتجه ، بحسب ما يقتضيه الاشتغال العلمي بإخراج النصوص القديمة، فعملنا على إصلاح ما طرأ على النسخة الفريدة من عبث التداول وتعاقب الأزمان عليها .

وقد فرض علينا هذا العمل الأكاديمي لتشكيل صورة مثلى عن هذا البحث الذي جسّد - مديحاً متعدداً الاختصاصات - أن تتحاور مع أنظار وأفكار فرضت نفسها على البحث ، وأن نتعاطى معها بحذر وبما يسهم في إنضاج مقدمة تحليلية تتضمن الأفكار والمفاهيم العلمية التي انتظمت مفاصل الكتاب ، على أن المحاور التي كوّنت القسم الدراسي من هذا العمل تمخضت عن أطر نظرية تراثية ولسانية سايرت هذا العلم منذ تأسيسه حتى يومنا الحاضر .

وليس غرضنا من هذا البحث أن نعيد إخراج الكتاب ليحظى بطباعة تقنية حديثة فحسب، بل لتقديمه للمؤسسات العلمية بما ينسجم مع الثوابت

العلمية ، وبما يجعله رافداً معرفياً يمدّ دارسي علم الوقف والابتداء ، بله علوم اللسان كافة ، بمادة تطبيقية وأنظار عملية عن الإجراءات الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية ، والقوانين التي تحكم اداء الخطاب القرآني في أبعاده الغائية والحجاجية ، والمقاربات التي أنجزها علماء اللسان العربي.

وعلى هذا الأساس يتألف هذا العمل من جزأين رئيسين ؛ أولهما دراسة توزّعت بين فصول ، الأول عن حياة مؤلف الكتاب القسطلاني وآثاره العلمية ، والثاني لتعريف علم الوقف والابتداء وتبيان أنواعه وأقسامه وأهميته وعلاقته بالعلوم الاخرى ، وسرد مصنفات هذا العلم المستقلة ، وأثر القراءات القرآنية فيه ، وعلاقة الوقف بالفواصل القرآنية ، والفصل الثالث لأهمية القيم التركيبية في الوقف والابتداء ، على ما جاء في كتاب القسطلاني وما أثبتته في تحليله مستويات الوقف من قرائن التركيب وعلاقات النحو ، والفصل الرابع لقيم المعنى في أقسام الوقف والابتداء ، وتوزّع بين مستويين الأول المستوى الدلالي والثاني المستوى التداولي ، مسترفدين في هذا المبحث أهم الأنظار الحديثة في ثقافة مفاهيم القسطلاني التي قارب فيها مستويات المعنى في الوقف والابتداء.

أمّا القسم الثاني فهو مركز القصد من هذا العمل ، إذ تکرّس في إخراج النص على وفق أسس التحقيق والتوثيق والموازنة ، مما يحتمّ استجماع ما كتب في هذا العلم من منجزات معرفية سابقة ، وتدقيق روافد النص الأساسية ، وتتبع إحالاته ، وتقصي شواهد ومقتبساته ، وجهد البحث على تجنب الاختصار المخلّ والاسهاب الممل في هوامش التحقيق ، فاقصر على ما ينير جوانب النص ويضفي عليه خصائص الرصانة التي تجعله غنياً لقارئه ومغنياً لطالبه.

ولعلّ النقص جبلة عمل ابن آدم ، وما هذا العمل إلا لبنة في بناء دراسات علمية تخدم كتاب الله المجيد ، فإلى الله ابتهل أن يجبر نقصه وأن يتقبله بأحسن القبول ، إنه وليّ كل نعمة ومنتهى كل رغبة

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

محمد وآله الطيبين الطاهرين